مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــ المجلد: 14 / العـدد:02 (نوفمبر 2026) ص 215– 231
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

التجليات الفلسفية لتداولية أفعال الكلام في المجموعة الشعرية "بوح الرّمق الأخير" للشاعرة الجزائرية " نادية العياطي

The philosophical manifestations of the pragmatics of speech acts in the poetry collection 'The Whisper of the Last Breath'by the Algerian poet Nadia Al-Ayati – as a model –

الدكتورة: سارة حفاف
Dr: Sarah haffaf
جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان(الجزائر)، sarah.haffaf@univ-tlemcen.dz

تاريخ الاستلام: 2026/05/13	تاريخ القبول: 2026/10/05	تاريخ النشر: 2026/11/25

الملخص : يروم هذا المقال الموسوم بـ " التجليات الفلسفية لتداولية أفعال الكلام في المجموعة الشعرية " بوح الرمق الأخير " للشاعرة الجزائرية "نادية العياطي –أنموذجا–"؛ إلى التعريف بأهم الأسس الفكرية والفلسفية للتداولية المعاصرة وصولا إلى نظرية الأفعال الكلامية التي ظهرت مع الفيلسوف الإنجليزي أوستين ثم طورها تلميذه جون سيرل الذي قسم الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف (الإخباريات، التوجيهيات، الالتزاميات، الإعلانيات، التعبيريات)، ومن ثمّ الوقوف على أهم الأغراض الإنجازية التي تؤديها هذه الأفعال الكلامية في المجموعة الشعرية "بوح الرمق الأخير".

كلمات مفتاحية: التداولية، الأفعال الكلامية، بوح الرمق الأخير، نادية العياطي، جون سيرل.

Abstract

This article, titled "The Philosophical Manifestations of the Pragmatics of Speech Acts in the Poetry Collection Bawh al- Ramaq al-Akhir (The Confession of the Last Breath) by the Algerian Poet Nadia Al-Ayati –A Case Study –," aims to introduce the most significant intellectual and philosophical foundations of contemporary pragmatics, culminating in the theory of speech acts first proposed by the British philosopher J.L Austin and subsequently developed by his student John Searle, who classified speech acts into five categories: assertives, directives, commissives, declaratives, and expressives. The article further seeks to identify the most important illocutionary functions performed by these speech acts within the poetry collection Bawh al-Ramaq al-Akhir.

Keywords: Pragmatics, speech acts, The Whisper of the Last Breath, Nadia Al-Ayati, John Searle.

المؤلف المرسل: د.سارة حفاف، **الإيميل**: haffafsarah91@gmail.com

1. مقدمة:

تعد التداولية من الحقول المعرفية التي حظيت باهتمام واسع من قبل النقاد والدارسين، الذين اشتغلوا على إرساء أسسها الفكرية والفلسفية التي تقوم على إخراج الفعل الملفوظ من حيز القواعد النحوية والنظريات التقليدية– التي ترى أنّ الفعل هو لفظ لوصف واقعة معينة–، إلى فضاء أوسع يتعامل مع الفعل كأداة تواصلية تُفهم من السياق الذي وردت فيه. وبهذا أضحت التداولية بفضل جهود أوستين من خلال نظرية الأفعال الكلامية وصولاً إلى تلميذه جون سيرل من المناهج النقدية المهمّة التي يمكن الاعتماد عليها في الكشف عن الخبايا الفكرية والدلالات الرمزية في النصوص الأدبية.

وقد جاءت الفكرة في اعتماد نظرية الأفعال الكلامية التي تعد جزءاً مهما من التداولية، في دراسة المجموعة الشعرية "بوح الرمق الأخير " للشاعرة الجزائرية "نادية العياطي" بغية استجلاء المعاني المضمرة والأبعاد الإنسانية والفلسفية التي سعت الشاعرة لتكريسها في هذه النصوص الشعرية.

وبهذا يمكن تحديد إشكالات هذا البحث، فما التداولية؟ وما المقصود بنظرية الأفعال الكلامية؟ وما هي أهم الأسس الفكرية والفلسفية التي تقوم عليها هذه النظرية؟

كيف تجلت هذه الأفعال الكلامية في بوح الرمق الأخير؟ وما الذي تريد الشاعرة إنجازه من خلال توظيفها لهذه الأفعال؟

2. مفهوم التداولية:

تعد التداولية من المصطلحات النقدية المعاصرة التي يستعصي على الدراس فهمها واستيعاب مدلولها، دون المرور بما وضعته المعاجم اللغوية لإزالة الغموض الذي يلف معناها. وقد ورد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس، أن الجذر اللغوي للفعل الثلاثي (دول)، ينقسم في معناه إلى ضربين " أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان، والآخر يدل على ضعف واسترخاء؛ فأما الأول فقال أهل اللغة، اندال القوم، إذ تحولوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم، إذا صار من بعضهم إلى بعض والدُّولة والدَّولة لغتان، ويقال: بأنّ الدولة في المال، والدولة في الحرب، وإنما سيما بذلك من قياس الباب؛ لأنّه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا إلى ذاك إلى هذا". (فارس، 1979،ج02، صفحة 314)

وورد في لسان العرب لابن منظور لفظة دول بمعنى التعاون والتبادل والتعاقب في قوله" تداولنا الأمر أخذناه بالدول، وقالوا دواليك أي مداولة على الأمر، ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس وتداولته الأيادي،

أخذته هذه مرة وهذه مرة، وتداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى تعاونا هذا مرة وهذا مرة". (منظور، 1914، ج13، الصفحات 253-252)

وليس ببعيد عن ما جاء في التعريفات اللغوية السابقة للجذر "دول" التي جاءت للدلالة عن التقلب والتصرف والتحول والتغير من حال إلى حال ومن مكان إلى مكان، نجد الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن قد اهتم هو الآخر بالكشف عن هذا المصطلح، حيث استهل تعريفه بأنّ التداول يفيد النقل والدوران؛ فالكلام الذي يتداوله الناس فيما بينهم يتم تناقله ودورانه في الألسن؛ إلى أن وصل خلال هذا الطرح إلى ربط معنى التداول بعمليتي التفاعل والتواصل؛ حيث رأى أن المتكلم يهدف من الفعل المتلفظ به إلى التواصل والتأثير في المتلقي، وهذا هو الأساس الفكري الذي تقوم عليه النظرية التداولية. (الرحمن، صفحة 244) والتي ترى أن اللغة المستعملة ليست مجرد نظام صرفي و صوتي ونحوي فقط، بل هي وسيلة أساسية وأداة فعالة للتواصل بين البشر ولذلك لايجب أن نهمل هذا الجانب المهم في اللغة .

إنّ ما قدمه "طه عبد الرحمان" في هذا التعريف عن مصطلح التداولية يقربنا كثيرا إلى مفهومها الاصطلاحي؛ حيث تعد التداولية من المصطلحات الأكثر شيوعاً وتداولا على الساحة النقدية واللسانية الحديثة والمعاصرة، إذ بفضل هذا الحقل العلمي الضخم، لم تعد الدراسة اللغوية تهتم فقط بحدود اللغة وأشكالها الظاهرة كما هو متعارف عليه في المعاجم والقواميس وكتب النحو التقليدية، وإنّما أصبحت تدرس الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها ونقصد بها، في ظروف ومواقف معينة. (مزيد، 2010، صفحة 18)

وقد أشار بلانشيه فليب في كتابه " التداولية من أوستين إلى غوفمان" إلى هذا الطرح عندما لاحظ أنّ معنى التداولية في اللغة الفرنسية يرتبط بكل ماهو محسوس وملائم للحقيقة، في حين نجدها في اللغة الإنجليزية تدل في الغالب على كل ماله علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية. (فيليب، 2008، صفحة 18)

أما في اللغة العربية، فقد تنبه علماؤها في وقت مبكر جدا إلى أنّ فهم اللغة المستعملة وتحديد المقصود منها، يعتمد بالدرجة الأولى على السياق الذي يأخذ بعين الاعتبار دراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والاستعمال اللساني؛ فالتداولية لا تلغي المعطيات بين المرسل والمتلقي بل هي تراعي كل ما يحيط بهما من ظروف ومواقف ومعارف شائعة بينهما على حد سواء. (ينظر:الدباغ، 2020، صفحة 5) وهي بهذا تعاكس الدراسات اللسانية التي لا تلقي بالا للسياق أثناء دراستها للغة، ولا تعير اهتماما بكل ما يحيط بها أثناء التلفظ.

وهذا ما جعل "مسعود صحراوي" يصف التداولية بالحلم الجديد الذي أعاد للغة صبغتها التواصلية، من خلال اهتمامها بدراسة مدى تأثير الخطاب على المتكلم والسامع والقارئ، فهي تقوم "بدمج مشارع معرفيّة متعددة

في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره" (صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، 2005، صفحة 16)

ومن هنا بذل المهتمون بحقل التداولية جهودا جبارة في إرساء مبادئ وأسس جديدة تعيد للغة وظيفتها التواصلية التي جردتها منها النظريات اللسانية السابقة، التي رأت أنّ الاستعمال الوصفي للغة أسبق من الاستعمال التواصلي، وأن القدرة على الفعل أسبق من الإنجاز. (لحمادي، 2008، صفحة 586)و قد تمثلت هذه الجهود في مجموعة المبادئ التي تقوم عليها التداولية، والتي سعى من خلالها الدارسون إلى تصحيح استعمال اللغة، وكيفية دراستها وتحليلها دون إهمال المتلقي والظروف المحيطة به، و التي يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

"–دراسة اللغة عند استعمالها في طبقات مقامية مختلفة.

–شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

–بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر.

–شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرف في معالجة الملفوظات" (صحراوي، صفحة 27).

وانطلاقا من هذه المبادئ قسم " محمود أحمد نحلة" في كتابه آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر" التداولية إلى أربعة أقسام، حيث حدد كل قسم حسب طبيعة الدراسة التي يقدمها للغة:

–التداولية الاجتماعية: تقوم التداولية في هذا القسم بدراسة اللغة انطلاقا من السياق الاجتماعي الذي وردت فيه.

– التداولية اللغوية: تهتم بدراسة نظام وبنية اللغة.

– التداولية التطبيقية: تعنى بدارسة الاستعمال التواصلي للغة وتحديد مشكلاته في المواقف المختلفة.

–التداوليات العامة: تهتم بتحديد أهم الأسس التي يقوم عليها الاستعمال التواصلي للغة. (نحلة، 2002، صفحة 10)

ولم تقتصر هذه الجهود المبذولة على تحديد مبادئ التداولية وأقسامها فحسب، بل امتدت أيضًا إلى تحديد درجات التداولية، حيث ترتكز كل درجة لفهم الاستخدام اللغوي على سياق محدد ومختلف عن الدرجات الأخرى، وقد حصرها الهولندي "هانسون" في ثلاث درجات هي:

1–تداولية الدرجة الأولى: تدرس الرموز الإشارية التي تحيل إلى المتكلمين، والزمان، والمكان، والتي لا تتضح مرجعيتها ودلالتها إلا في السياق الذي وظفت فيه.

2-تداولية الدرجة الثانية: تسعى هذه التداولية إلى دراسة كيفية انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى المستوى الضمني مع الأخذ بعين الاعتبار قوانين الخطاب ومبادئ المحادثة والحجاج والأقوال المتضمنة... وغيرها، ويكون السياق في هذه الدرجة موسع لا يقف عند دراسة العلامات الإشارية بل يتعداها إلى المعتقدات والمعلومات المشتركة بين المتخاطبين.

3-تداولية الدرجة الثالثة: تتعلق تداولية هذه الدرجة بنظرية أفعال الكلام لأوستين؛ التي تنطلق من مسلمة مفادها أن الأقوال المتلفظ بها هي أفعال ينجزها المتكلم من خلال اللغة، والسياق هو الذي يحدد طبيعة هذه الأفعال (أمر، نهي، استفهام...وغيرها). (ينظر: و لحمادي، 2008، صفحة 587) وبالرغم من اختلاف هذه الدرجات الثلاثة في دراسة اللغة لاختلاف المنطلقات النظرية والفلسفية التي تعتمدها كل درجة في فهم الملفوظ وتحديد مقاصده الدلالية، إلاّ أنّها تتفق في أنّ تحديد الاستعمال التواصلي للغة لا يكون إلاّ بالعودة إلى السياق المحيط بالقول المتلفظ به.

3. نظرية أفعال الكلام:

تعد نظرية أفعال الكلام (أو كما يطلق عليها أيضا بالحدث الكلامي) التي وضعها الفيلسوف الإنجليزي "أوستين" وطورها تلميذه "سيرل" أحد أبرز النظريات التداولية في العصر الحديث وحجر الزاوية في الفكر اللساني الغربي والعربي على حد سواء؛ حيث تبرز مكانة هذه النظرية في اهتمامها بدراسة " مقاصد المتكلم ونواياه، فالمقصد يحدد هدف المرسل من وراء سلسلة الأفعال اللغوية التي يلفظ بها، وهذا ما يساعد المتلقي على فهم الخطاب ومن ثمة يصبح توفر القصد والنية مطلبا أساسيا وشرطا من شروط نجاح الفعل اللغوي الذي يجب أن يكون متحققا ودالا على المعنى." (بوقرة، 2006، صفحة 17)

أي أنّ وظيفة اللغة في ضوء هذه النظرية لم تعد مجرد وسيلة لإيصال الأفكار والمعلومات للمتلقي، كما أقرت النظريات التقليدية التي اهتمت بمعالجة اللغة وتحديد وظائفها فقط، بل أصبحت " مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية." (ينظر: و لحمادي، 2008، صفحة 591)وقد أشار أوستين إلى هذه الفكرة في كتابه الذي خصصه لطرح نظرية أفعال الكلام، حينما تحدث عن اللغة باعتبارها سلوك تفاعلي يؤدي مجموعة من الوظائف المهمة كالتأثير والإنجاز، حيث تختلف درجة هذا التأثير من مستقبل إلى آخر حسب الحالة النفسية والاجتماعية الخاصة به. (الشرقي، 2025، صفحة 1811)

ولم يتوقف أوستين عند هذا الحد، وإنما قام بتقسيم الأفعال الكلامية إلى ثلاثة أفعال فرعية هي:

-فعل القول: ويراد به وضع الفعل المراد إنجازه في جمل مفيدة وصيغ سليمة نحويا ودلاليا وصوتيا.

-الفعل المتضمن في القول أو فعل الإنجاز: يراد به المعنى المقصود الذي ينجزه المتكلم والذي يريد أن يوصله للمتلقي، ويعد هذا الفعل أساس النظرية التداولية برمتها.

-فعل التأثير أو الفعل الناتج عن القول: يراد به رد فعل المتلقي. (مزيد، 2010، صفحة 51)

كما قام بتحديد أصناف الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف عامة، حيث يقوم كل صنف بوظيفة تأثيرية محددة في المتلقي:

1-الحكميات: وتتمثل في إصدار الأحكام والقرارات من قبل هيئات قضائية نحو: التنزيه، الاستدعاء، الإدانة، التحليل، الفهم.

2-التنفيذيات: يختص هذا الصنف بمتابعة أفعال محددة مثل: التعيين، الطرد، العزل، الترسل...إلخ.

3-الوعديات: ويطلق عليها أيضا الإلزاميات لأنّها تلزم المتكلم بتنفيذ أفعال محددة مثل الوعد، التعهد، النية، الموافقة.

4-السلوكيات: هدفها إبداء سلوك معين مثل: التهنئة، التعزية، الشكر، الاعتذار، الترحيب...إلخ.

5-العرضيات: والهدف منها الحجاج والنقاش والتفسير والتبرير مثل: الإجابة، التأكيد، الاعتراض، الاحتجاج، نقل الأقوال، الافتراض...وغيرها" (ينظر:الدباغ، 2020، صفحة 5).

إن التصنيف الذي قدمه أوستين للأفعال الكلامية، يبقى في نظر المهتمين بالدرس التداولي ناقصا وغير مكتمل، وذلك لاهتمامه بالأهداف التي تؤديها هذه الأفعال أثناء التلفظ بها في حين لم يهتم بالأغراض الإنجازية والأفعال التأثيرية التي تحققها في مستقبلي الخطاب./ ومن هنا حاول تليمذه سيرل أن يكمل ماهو ناقص في تصنيفات أستاذه أوستين، حيث أعاد تقسيم الأفعال الكلامية إلى: فعل التلفظ (الصوتي والتركيبي)، الفعل القضوي (الجمل والإحالة)، الأفعال المضمنة في القول (الفعل المنجز)، الفعل التأثيري. (الشرقي، 2025، الصفحات 27-28-29)

كما اهتم سيرل بإعادة تصنيف الأفعال الكلامية، حيث حددها في خمسة أصناف، إذ يسعى المرسل في كل صنف إلى إنجاز فعل معين تحدده طبيعة السياق الذي ورد فيه:

-الإخباريات: يتعهد المرسل في هذا الصنف بأن الشيء الذي يحدث هو واقعة حقيقية، وكذلك بصدق قضية ما.

-التوجيهيات: يقوم المرسل في هذا الصنف بدفع المستمع إلى إنجاز شيء معين، وذلك من خلال الاقتراح، أو النصح، أو الإغراء، أو الإرشاد والنصح، أو القوة والشدة.

-الإلزاميات: يقوم المتكلم في هذا الصنف بإلزام نفسه بإنجاز شيء ما، وفي الإلزاميات يكون شرط الإخلاص هو القصد والرغبة في الالتزام.

-التعبيريات: يعبر المتكلم في هذا الصنف عن حالته النفسية، شرط الإخلاص في التعبير.

-الإعلانيات: يسعى المتكلم إلى تغيير الواقع بمجرد النطق بأفعال هذا الصنف، ويتمثل نجاحها في مطابقة الكلمات للعالم، والعالم للكلمات. (ينظر: و لحمادي، 2008، صفحة 592)

4. تمثلات نظرية جون سيرل الفلسفية لأفعال الكلام في مدونة" بوح الرمق الأخير":

لا مندوحة عن الاعتراف بأنّ الحركة الشعرية في الجزائر، قد تمكنت على الرغم من التحولات التاريخية والتغيرات السياسية المتعاقبة التي عرفتها البلاد، من أن تحافظ على ثوابتها الفكرية والجمالية، وأن تظل وفيّة لمرتكزاتها الأولى. فالشاعر الجزائري لم ينقطع عن الكتابة عن الوطن والوطنية وعن القضايا الإنسانية العادلة في العالم، رغم بحثه الدائم عن أساليب تعبيرية جديدة وأدوات فنية متجددة.

وحينما نتحدث عن الشاعر الجزائري فكلامنا ينصب على كل الشعراء الجزائريين المعاصرين مثلما ينصب على الشاعرات المعاصرات، وما أكثرهنّ في الساحة الأدبية الجزائرية. وإن كان بعضهن قد توقفن عن نظم الشعر لطغيان الفن الروائي على المشهد الثقافي في الوطن العربي، إلا أننا نجد في المقابل شاعرات تمسكن بهذا النوع الأدبي لإيمانهن بقوة الخطاب الشعري وقدرته الكبيرة في بناء الوعي الجمعي، وفي التعبير عن قضايا المرأة وصراعاتها مع الآخر (الرجل).

وتأتي الشاعرة نادية العياطي في مقدمتهن حيث استمرت في هذا الجنس الإبداعي باعتباره أداة فريدة لفهم كنه الحياة وإدارك حقيقة الوجود الإنساني، وهي الرسالة التي مررتها لقرائها من خلال مجموعتها الشعرية "بوح الرمق الأخير".

ويضم هذا العمل الأدبي (35) قصيدة حاولت من خلالها الشاعرة أن تعالج قضايا إنسانية مختلفة وأن تبحث عن إجابات لتساؤلات فلسفية عميقة كالذات والهوية والانتماء، من خلال عرض ثنائيات الخير والشر، الأنا والآخر، الأخلاق والفساد، الصمت والصوت، الموت والوجود، الحب والحرب، وغيرها من المشكلات الفلسفية الراهنة التي أفرزها العصر. ومن هنا جاءت هذه الدراسة للكشف عن هذه الدلالات العميقة والمعاني العظيمة من خلال تتبع الأفعال الكلامية التي وظفتها الشاعرة في هذه النصوص الشعرية، وقد اعتمدنا في ذلك على تصنيفات جون سيرل للأفعال الكلامية التي اهتم فيها باستجلاء الأغراض الإنجازية التي تؤديها هذه الأفعال في الخطاب وما تتركه من تأثيرات قوية في المُخاطب.

1.4الإخباريات (التقريريات):

تعد الإخباريات من الأفعال التي يوظفها المبدع في نصه قصد نقل الأحداث والوقائع إلى المتلقي، سواء كانت هذه الأخبار كاذبة أم صادقة بغية التأثير فيه وإقناعه بها. وقد وظفت الشاعرة "نادية العياطي" هذا الصنف من الأفعال بكثرة في قصيدتها "جدارية الحقيقة" لأنّها تصف لنا معاناة الشعوب العربية وصراعاتها السياسية مع القوى الغربية الاستعمارية، في لوحات شعرية تمزج بين التجربة الشخصية للشاعرة والاهتمام بقضايا الأمة المركزية. ونستشهد لهذا النوع من الأفعال في قول الشاعرة:

انفردت بجدارية الحقيقة

رسمت وردة

تذكرت مرة

وأنا طفلة أحمل طبشورا أبيض

وجدت سهما يحترق قلبا

والقلوب والسهام كثير

لم أع والطفولة تعبث

ما سر الأسهم

رمز الشجاعة أم إعلان صبابة (العياطي، 2017، صفحة 23)

تصف الشاعرة في هذه الأبيات كيف كانت طفولتها البريئة قبل أن تعي ما معنى الأسهم من خلال جملة من الأفعال (رسمت، تذكرت، أجمل، وجدت، لم أع)، حيث وظفت اللون الأبيض كرمز للدلالة على هذه البراءة قبل أن تتلاشى وتتحول في كبرها إلى وعي بالمعاناة والألم. وقد أدت ثنائية الوعي واللاوعي في هذا الإخبار غرضا إنجازيا يتمثل في الكشف عن التناقض بين الواقع المرير الذي يعيشه الوطن العربي والمأمول الذي تتمنى الشاعرة أن يتحقق في القريب العاجل، والذي لن يكون دون إحياء مشاعر الطفولة البريئة في المتلقي ودعوته إلى التحلي بالصبر والصمود والمقاومة لتعود الطفولة إلى عالمها البريء الذي سرقته منهم الحروب والنزاعات السياسية.

وتستمر الشاعرة في توظيفها للإخباريات في هذه المجموعة الشعرية مؤكدة من خلالها قدرتها الكبيرة على المزج بين الأحداث الفعلية والصور الشعرية التي تعزز رؤيتها ورسالتها الإنسانية التي تسعى لإيصالها للقارئ، ومن أمثلتها أيضا ما جاء في قصيدة " قمحنا...أم حمقنا" في قولها:

في مراقص البغايا

في قصور المرايا

وتستبيح في الأكواخ السّبايا

حيث يسدل الحياء شباكه

ويهجر الأمكنة اللعينة (العياطي، 2017، صفحة 28)

تكشف "نادية العياطي" من خلال هذه الصور الشعرية عن واقع مرير تختل فيه القيم وتنقلب فيه المفاهيم العقلية، حيث تشكل ثنائية الرفاهية والانتهاك في الأبيات الأولى عاملا مهما ونتيجة حتمية في انسحاب الحياء من الأمكنة الفاسدة في البيتين الأخيرين، فبالرغم من أنّ هذه المقولات تندرج وفق تصنيف "جون سيرل" للأفعال الكلامية ضمن الإخباريات، إلا أنها تتعدى مجرد الإخبار بمظاهر الظلم والفساد الذي انتشر في المجتمع، فهي تؤدي غرضا إنجازيا واضحا في استفزاز الشاعرة للقارئ وتحريضه على مواجهة هذا الانحراف الموصوف ومقاومته مهما كانت الظروف، والدفاع عن الالتزام القيمي لضبط السلوك الفردي في المجتمع.

ومن الإخباريات التي وردت في هذه المجموعة، ما جاء في قصيدة مرثية "الدا حسين" في قول الشاعرة:

فالوافد إليك الدا حسين

أتاك تزفينه عريسا اليوم مع الأبرار

عادك شيخا وعاهدك يافعا همام

يذود عليك بصبابة العاشق الولهان

حماك حمى الابن الشجعان (العياطي، 2017، صفحة 95)

تنتمي هذه المقاطع الشعرية إلى الأفعال الكلامية الإخبارية، لأنّ الشاعرة تخبرنا بوصول جثمان المجاهد حسين آيت حمد إلى أرض الوطن لتنفذ وصيته ويدفن في مسقط رأسه، كما أنها تصف ما قدمه هذا المجاهد من تضحيات في سبيل الوطن منذ أن كان يافعا إلى أن أصبح شيخا؛ إلاّ أنّه بالرغم مما تؤديه هذه الجمل من وظائف إخبارية مباشرة، فهي تضع القارئ أمام تراجيديا فلسفية عن ثنائية الفناء والبقاء، التي جعلت الشخصية حية وخالدة في الذاكرة الشعبية بالرغم من فناء الجسد واندثاره. ومن هنا يتمثل الغرض الإنجازي الذي يؤديه هذا الإخبار في الثناء والإطراء على الشخصية وتعظيم أفعالها، وتقديمها كرمز ثوري يجب الاحتذاء به.

وتتمثل الجمل الإخبارية أيضا، في قصيدة "الضريح الجريح"، في قول الشاعرة:

أنا الحيُّ الذي لم يمت مريح

أنا الشهيد في هذا الضريح. (العياطي، 2017، صفحة 35)

يندرج هذا المقطع الشعري ضمن الإخباريات، لأنّ المتكلم يخبرنا عن نفسه بأنّه هو الشهيد الحيّ الذي لم يمت وهو صاحب هذا الضريح، فالبنية اللغوية هنا تعتمد على التأكيد والتقرير والإثبات، دون توظيف لأساليب إنشائية كالنهي والاستفهام والأمر... مما يجعل هذين البيتين من الأفعال الكلامية التقريرية بناءً على شكلها الخارجي، أما ضمنيا فهي تؤدي غرضا إنجازيا يتمثل في تعزيز الهوية والانتماء، وإرساء قيم حب الأوطان والدفاع عنها، إذْ يتحول إعلان المتكلم عن الهوية إلى خطاب ثوري يؤكد تجدد العهد لمواصلة النضال والتضحية بالنفس إلى غاية نيل الحرية والاستقلال.

4. 2.الالتزاميات:

تمثل الالتزاميات صنفا مهما في الأفعال الكلامية التي حددها جون سيرل، إذْ تكمن أهميتها في التزام المتكلم بإنجاز فعل معين في المستقبل، وقد حظيت هذه الجمل الالتزامية بعناية خاصة في "بوح الرمق الأخير"، حيث يعد خطاب الوعد والوعيد أحد أبرز المكونات التداولية في أشعار "نادية العياطي"، خاصة في سياقات النضال وقضايا التحرر في العالم العربي. ومن نماذج هذا النوع من الأفعال الكلامية، ماورد في قول الشاعرة في قصيدة "الضريح الجريح":

قال سأحكي لك ما أبيح (العياطي، 2017، صفحة 35)

تعكس هذه العبارة " سأحكي لك ما أبيح" فعلا كلاميا التزاميا، يتجلى في توظيف صيغ المستقبل والوعد والالتزام التي تكشف عن نية المتكلم في الإفصاح عما حدث لهذا الوطن الجريح دون أن يتجاوز الحدود المسموح بها في الكلام. وبهذا المعنى تشكل هذه العلاقة التداولية بين طرفي الخطاب بعدا شعريا وفلسفيًّا، يتجاوز حدود الإنجاز الشكلي لفعل الحكي إلى بعد قصدي دقيق يتمثل في وعي المتكلم بضوابط الحكي.

ويتجلى أيضا هذا النوع من الأفعال الكلامية في قصيدة " من أين جئتم ":

سيعود هيجو يهجوكم

ويسرد عليكم: ذهب مع الريح (العياطي، 2017، صفحة 52)

تحمل هذه المقولات الشعرية حسب تفسير جون سيرل للأفعال الكلامية، مدلولات تأثيرية متعددة كالوعد والتهديد والترهيب، فالفعل الشعري هنا لم يكن مجرد وصف لعودة هيجو وما سيحدثه هجاؤه فيهم، وإنما كان تخطيطا قصديا دقيقا من المتكلم لإحداث أثر رمزي في وعي المستقبلين للخطاب بأنّ مآلهم المحتوم يلوح في الأفق.

ومن أمثلتها أيضا ما جاء في قصيدة "قمحنا...أم حمقنا" في قولها:

لن ننس قمحنا

هو أصل قوتنا

رغيفنا ملح وماء وطحين

وجعجعة الطحونة في حطين (العياطي، 2017، صفحة 28)

تخاطب الشاعرة المستعمر الغاصب بنبرة ثورية حازمة، أنّ الشعب المقهور لن ينس أرضه ولن يفرط فيها، ولن يتنازل عن أي شبر منها، وقد دعمت هذا الفعل الإلزامي بجملة من الجمل التقريرية والتعبيرية لتخبره بمدى تشبث الشعب بأرضه وقوة ارتباطه بها. ومن هنا كان الغرض الإنجازي من هذا الالتزام تحدي العدو بإعلان تمسك الشعب بجذوره وهويته وكذا تعبئة الشعب لمواصلة المقاومة من خلال تذكيره بمعركة حطين التي انتصر فيها الجيش الإسلامي بقيادة صلاح الدين الأيوبي على جيش الصليبيين وحثه على الصمود وعدم الاستسلام.

4 .3. التوجيهيات:

تعد التوجيهيات وفق منظور "جون سيرل"، من الأفعال الكلامية المهمة حيث تقوم مجموعة الإرشادات والتوجيهيات التي يطلب من المخاطب إنجازها، بإثراء البنية التداولية للنّص. وقد شهدت المجموعة الشعرية "بوح الرمق الأخير" لنادية العياطي حضورًا مكثفا للتوجيهيات في قصائدها، ويرجع ذلك إلى طبيعة الخطاب الشعري المرتبط بتحقيق أبعاد إنسانية ووطنية تعكس الوعي الجمعي للظروف السياسية والاجتماعية التي يعيشها المجتمع العربي.

من أمثلة هذا النوع الكلامي، ما جاء في الأبيات التالية من قصيدة "وجع أمة":

بلاد العرب استيقظي وهبّي

...للم الشتات والذود عني...هبي. (العياطي، 2017، صفحة 39)

تعكس أفعال الأمر الموظفة في هذا المقطع الشعري "استيقظي" و"هبّي"، فعلا كلاميّا توجيهيًّا واضحًا، يلزم المخاطب "العرب" بالنهوض والاستعداد للدفاع عن أرضهم والتمسك بهويتهم وانتمائهم الوطني. وبهذا المعنى يسعى هذا الخطاب التوجيهي إلى توليد فعل معنوي لدى المستقبل لإدراك مسؤوليته اتجاه الوطن والوعد بضرورة توحيد الصفوف لحماية كرامة وحرية الأمة.

كما تحضر التوجيهيات أيضا في مستهل قصيدة "صيحة طفلة حلبية" في قول الشاعرة:

صاحت طفلة حلبية : يانار...كفي.

كفي بأسك...كفي

لهيبك أحرق سريري وكرسيّ

واحترقت الدمى وكانت أنسي (العياطي، 2017، صفحة 42)

استهلت الشاعرة قصيدتها بفعل كلامي توجيهي واضح، في طلب الطفلة من النار أن تنطفأ وأن تكف عن أذيتها، وقد عكست هذه الصورة الشعرية مأساة الشعب السوري ومعاناة المدنيين والأطفال الذين سلبت منهم طفولتهم في هذا المستنقع الوحشي، فالفعل التوجيهي هنا لم يكن مجرد وصف، بل كان صرخة قوية للتنديد بهذه المجازر التي ترتكب في حق هؤلاء الأبرياء، وأيضًا للتأثير في الوعي العربي وتعزيز روح التضامن لمواجهة الأزمات الإنسانية.

كما يتجلى هذا النوع من الأفعال الكلامية في قصيدة "الصمت الدّفين":

أيّها الصمت الدفين

بوجع السنين اندثر

احمل غطاءك الكاشف

الممزق وارحل (العياطي، 2017، صفحة 79)

توظف الشاعرة في خطابها فعلا كلاميا توجيهيا صريحا، يتمثل في أفعال الأمر "اندثر" و "احمل" و"ارحل"، وقد اعطى هذا التخاطب والتواصل المباشر بين الشاعرة والصمت بعدا وجوديًا لهذا الأخير، حيث جعله كائنا حيا قادراً على التحرك والرحيل والامتناع عن الكلام، فالفعل التوجيهي هنا لم يكن مجرد وصف للسكون وإنّما كان رمزا عن الألم والظلم. وبهذا المعنى يشكل هذا الخطاب التوجيهي قوة إنجازية تتمثل في دعوة الوعي الجماعي إلى النهوض وكسر حاجز الصمت من خلال المواجهة والمقاومة والتعبير عن المعاناة.

ويظهر الفعل الكلامي التوجيهي في هذه المجموعة الشعرية، في قصيدة "زها الحديد" في قول الشاعرة:

أبكي ياعراق زها زهاء القرنين

حديدها لينته الأنامل واللب سنين

سال الدمع في الفرات ودجلة حبرا

لشيماء النساء وفحول الرجال حولا (العياطي، 2017، صفحة 101)

يحمل الفعل الكلامي "ابكي" طابعا توجيهيا واضحا، فهو فعل أمر يندرج وفق المنظور الفلسفي لجون سيرل ضمن الأفعال الكلامية التوجيهية، إذْ تخاطب المتحدثة العراق وتطلب منها البكاء على ابنتها "زها الحديد"، كما لو كانت إنسانًا يشعر بالحزن والألم، مما يضفي عليه بعدا إنسانيا. وبهذا يكون الفعل الكلامي في هذا الخطاب

الشعري غير مقتصر على تنفيذ طلب البكاء، بل هو يؤدي غرضا إنجازيا عميقا يسعى إلى تحريك المشاعر والتأثير في الفكر والضمائر حتى يكون الفرد سندا لوطنه لا عبئا عليه.

4. 4. الإعلانيات:

تتميز الإعلانيات في الدرس التداولي، في كونها مجموعة الأفعال التي يراد من توظيفها في الكلام تغيير الواقع، وقد وظفت الشاعرة "نادية العياطي" هذا النوع من الأفعال الكلامية في مجموعتها الشعرية " بوح الرمق الأخير"، إلاّ أنّ حضورها كان قليلا جدا مقارنة بالأصناف الأخرى من الأفعال؛ ويرجع هذا إلى طبيعة النّص الشعري الذي يعتمد على التعبير والإخبار في معالجته للواقع باعتباره فضاءً إبداعيًا، وليس مجالا رسميًّا له سلطة تغيير الواقع.

ومن أمثلتها في هذه النصوص الشعرية، ما جاء في قصيدة "وجع أمة":

وأعلن لغة الآهات الأليمة (العياطي، 2017، صفحة 38)

ينتمي هذا المقطع الشعري إلى الأفعال الكلامية الإعلانية، حيث أعلنت الشاعرة من خلال توظيفها للفعل "أعلن" عن تحولها من التوظيف العادي للغة إلى استعمال لغة جديدة، تنتج فيها مشاعر الألم والحزن معان ودلالات جديدة. وهكذا يكون هذا الإعلان قد حقق غرضًا إنجازيًا قويًّا يظهر في وعي الشاعرة بضرورة استيقاظ الأمة العربية وكسر حاجز الخوف قبل حاجز الصمت لتغيير واقعنا المأساوي.

وقد لجأت الشاعرة إلى تقنية التكرار، من خلال إعادة هذا البيت الشعري في قصيدة "هزني الأنين"، بهدف تأكيد المعنى وترسيخ مأساة الواقع العربي في ذهن القارئ حتى يبقى أثرها واضحًا في وعيه كلما أعاد قراءة هذا البيت.

كما وظفت الشاعرة هذا النوع من الأفعال الكلامية، في قصيدة "آخر ورقك" في موضعين مختلفين:

أعلنت لك الناقوس فتمردت

أذيت الروح...وأفشيت سرّ جنونك

وأعلنت صرختي بعد صمتي (العياطي، 2017، صفحة 88)

تتجاوز الأفعال الكلامية الموظفة في هذه الأبيات الشعرية مجرد الإخبار إلى الإعلان والالتزام، إذْ لا تكتفي هذه المقاطع بوصف معاناة المرأة من سلطة الأنا الذكورية، بل تؤسس خطابا شعريا فلسفيًّا يعلن عن وعي المرأة بذاتها وقدرتها على مواجهة القيود التقليدية، وبهذا يتحول هذا الخطاب من الوعي الفردي للذات إلى وعي جمعي يبرز مكانة المرأة ودورها الفعال في بناء المجتمع.

4. 5. التعبيريات:

تعد التعبيريات من الأفعال الكلامية الأكثر حضورًا واستعمالاً في هذه المجموعة الشعرية مقارنة ببقية الأفعال الأخرى، ويعود هذا إلى طبيعة النّص الشعري الذي يركز خطابه على تجسيد انفعالات وأحاسيس الشاعر في صور فنيّة تعكس وعيه الفكري والشعوري اتجاه القضايا الإنسانية، وبهذا يكون القول التعبيري الأقرب والأنسب لطبيعة هذا النّص.

ومن أمثلته الكثيرة في "بوح الرمق الأخير"، هذه المقولة التعبيرية التي جاءت على لسان الشاعرة في قصيدة " الضريح الجريح":

آه وطني الجريح (العياطي، 2017، صفحة 35)

تنتمي هذه العبارة الشعرية إلى الأفعال الكلامية التعبيرية فهي وفق منظور الفيلسوف جون سيرل تعكس الحالة النفسية للشاعرة، التي تظهر حزنًا داخليًّا وألمًا شديدًا على وطنها الجريح من خلال توظيفها للفظة "آه" التي تفيد معنى القهر والوجع العميق. لم يكن توظيف هذه المقولة للتعبير عن الحالة الشعورية للمتحدثة فقط، وإنّما أدّت أيضًا غرضًا إنجازيًا قويًّا يتمثل في التأثير في وجدان أبناء الجيل الجديد وتحريك مشاعره لإدراك حجم الأهوال التي كابدها أبناء وطنهم والتضحيات التي قدموها في سبيل العيش بحرية وكرامة في أرضهم.

ومن أمثلته أيضا في قصيدة "وجع أمة":

وجع أمة

هزتني أوجاع الصبية العليلة

وزادني بكاء الأيامى عليهم الأنين (العياطي، 2017، صفحة 38)

أفصحت الشاعرة في هذه الأبيات عن حالتها الوجدانية المفعمة بالأسى والحرقة تجاه ما تعانيه الأمة العربية، حيث يرد تركيب "وجع أمة" في صورة مجازية تشبّه أو تخاطب الأمة كأنّها كائن حي يشعر بالألم والحسرة، بينما تحيل لفظة "الأنين" إلى صوت التوجع والشكوى الذي يعكس شعور الضعف والعجز؛ ولهذا تؤدي هذه المقولات وظيفة إنجازية تعبيرية تتمثل في تحفيز وعي مستقبلي الخطاب وتوعيتهم بضرورة التضامن الإنساني مع هؤلاء الصبية والأيامى لتخفيف هذه المأساة الإنسانية.

ويرد أيضًا الفعل الكلامي التعبيري، في قول الشاعرة:

دعني ولفيف أوراقي تراقص الربيع

لتشرق لنا شمس غد من جديد

تنقشع الغمامة وسقياي غيث سماء (العياطي، 2017، صفحة 89)

تضمنت هذه الأبيات الشعرية من قصيدة "آخر ورقك" ألفاظاً تعبيرية وظفتها الشاعرة للتعبير عن الأمل والتفاؤل بمجيء غد أفضل، وبهذا تتجاوز هذه المقولات التعبيرية الوظيفة الإخبارية لتؤدي وظيفة إنجازية تعبيرية تتمثل في استثارة مشاعر المرأة العربية ودعوتها للتحرر من قيود السلطة الذكورية.

كما جاء الفعل الكلامي التعبيري في قصيدة "الصمت الدفين":

والصمت انفجر... وانقشع الفجر

وتنفس الصبح يتفاءل

ليلغي أملا ألما قد تبدّدْ (العياطي، 2017، صفحة 80)

يحيل هذا المقطع الشعري المشبع بألفاظ تعبيرية صريحة، إلى انتقال شعوري داخلي عميق عبرت عنه الشاعرة، من خلال الانتقال من الصمت إلى الإفصاح، وتشخيص الصبح ومنحه صفات إنسانية كالتنفس والتفاؤل، وإلغاء الأمل للألم والقضاء عليه، كلها صور مجازية حققت في النص وظيفة إنجازية تعبيرية تتمثل في بث روح الأمل والتفاؤل في المخاطب وتعزيز ثقته ببزوغ فجر جديد.

5. خاتمة:

وفي ختام هذا البحث نخلص إلى مجموعة من النتائج، نذكر من أهمها:

- تعد التداولية من المباحث اللسانية والفكرية المهمة التي قفزت بالدرس اللغوي قفزة نوعية ومدويّة، إذ تمكنت في دراستها للفعل من الخروج من شرنقة النظريات التقليدية والقواعد النحوية التي تربط الفعل بحادثة زمنية محددة، إلى فضاء أوسع يتعامل مع الفعل كأداة تواصلية تؤدي أغراضاً إنجازية وتأثيرية في المتلقي تحددها طبيعة السياقات التي ورد فيها.
- استطاعت نظرية الأفعال الكلامية التي تشكل ركنا أساسيا في التداولية الكشف عن المخبوءات الفكرية والدلالات الرمزية المبثوثة في الأعمال الأدبية بفضل الأنواع التي حددها أوستين للأفعال وطورها تلميذه سيرل، حيث يقوم هذا التصنيف على تحديد المهام والوظائف التي يؤديها كل صنف من هذه الأفعال في النص الإبداعي.
- عرفت المجموعة الشعرية "بوح الرمق الأخير" للشاعرة الجزائرية "نادية العياطي"، حضورا كبيرا للأفعال الكلامية التي حددها جون سيرل كالإخباريات، التوجيهيات، الإعلانيات، التعبيريات، الالتزاميات، حيث

تبرز هذه الأصناف الموظفة في النّص في الأساليب المتنوعة كالطلب والتأكيد والاستفهام والأمر والنداء والنهي... وغيرها.

- يعد الفعل الإخباري من أكثر الأفعال الكلامية شيوعًا في هذه القصائد، إذْ يمكننا أن نقف على دوره الكبير في استجلاء الأبعاد القيمية التي سعت الشاعرة أن تمررها لمتلقي الخطاب كتحفيزه على استعادة الوعي الأخلاقي الذي يميز بين العدل والظلم وبين الخير والشر للنهوض بالأمة الإسلامية وتحقيق التعايش السلمي بين شعوب العالم.
- حظيت الجمل الالتزامية بعناية خاصة في "بوح الرمق الأخير"، حيث يعد خطاب الوعد والوعيد أحد أبرز المكونات التداولية في أشعار "نادية العياطي"، خاصة في سياقات النضال وقضايا التحرر في العالم العربي.
- تجلت الأفعال الكلامية التوجيهية في مواضع كثيرة في أشعار نادية العياطي، ولعل ما يفسر هذا الحضور المكثف هو طبيعة الخطاب الشعري المرتبط بتحقيق أبعاد إنسانية ووطنية تعكس الوعي الجمعي للظروف السياسية والاجتماعية التي يعيشها المجتمع العربي.
- تمكنت الإعلانيات على الرغم من قلتها من طرح قضايا جوهرية قومية ووطنية حولت الخطاب الشعري من وعي فردي للذات إلى وعي جمعي يدرك واقعه ويسعى إلى تعزيز قيم التضامن والتحرر في الوطن العربي.
- تكشف التعبيريات عن الانتقال الشعوري الداخلي للشاعرة الذي تمثل في كل قصائد المجموعة، حيث شكلت التراجيديا الفلسفية لثنائية الصمت والصوت، الألم والأمل، الانحلال والأخلاق، الحرب و السلام، بالإضافة إلى السياقات الخارجية، أحد أبرز المكونات الدلالية لاستجلاء الأغراض المستقاة من هذا الفعل الكلامي.

6.قائمة المراجع:

1.أحمد بن فارس، 1979، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، ج02.

2.ابن منظور، 1914، لسان العرب، دار أردن، لبنان، ج13.

3. طه عبد الرحمن، د.س، تحديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2

4. بهاء الدين محمد مزيد، 2010، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي تبسيط التداولية، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.

5.بلانشيه فيليب، 2008، التداولية من أوستين إلى غوفمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1.

6.عروبة الدباغ، 2020، أفعال الكلام في قصة أنين البراهين (دراسة تداولية)، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد17.

7.مسعود صحراوي، 2005، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1.

8.فطومة لحمادي، 2008، تداولية الخطاب المسرحي "مسرحية عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم –أنموذجا"، الملتقى الدولي الخامس السيمياء والنص الأدبي، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

9.أحمد محمود نحلة، 2002، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية.

10.نعمان بوقرة،2006، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية، مجلة اللغة والأدب، العدد7.

11.سارة منصور، 2025، الأفعال الكلامية بين أوستين وسيرل دراسة نظرية مقارنة، مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، العدد38.

12.نادية العياطي،2017، بوح الرمق الأخير، دار ابن الشاطئ للنشر والتوزيع، جيجل، العدد1.